أُحجية أبدية

رسائل عتيقة .. و قصائد صفراء

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

سهام محمد العتيبي

كاتبة و شاعرة سعودية
siham.mohammad@hotmail.com
من مواليد ٢-نوفمبر-١٩٨٦
صدر لها «فم النار» عن دار الفكر العربي ٢٠١١

أُحجية أبدية

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع
الإدارة العامة - الدمام
تليفون: ٠٣٨٣٣٨٤٩٩
فاكس: ٠٣٨٣٣٥٤٤٠
مسؤول النشر: تليفون ٠٥٩٢٦٤٩١٢٢

Alfeker - Alaraby Publishing house
General Admination - Dammam
Tel: 038338449
Fax: 038335440
Publisher: 0592649122

dar.al.feker@gmail.com
dar.al.feker@hotmail.com

www.daralfkr.com.sa

مدونة دار الفكر العربي
واحة القلم الحر
http://www.feker.com.sa

الإشراف والاخراج الفني **دار الفكر العربي**

الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن مسبق من الناشر

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in aretrieval system or transmitted any means with out prior permission in writing of the publisher

جميع العبارات والأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن
وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر

الإهداء

إلى كل روحٍ صرخ لها وجهي وذابت ..

غادرت في المجهول المخيف ..

ها أنا أرتبني ..

وأولد أحجية من جديد ..!

و أكتب .. أكتب .. أكتب ..

حتى تخترق جمجمتي رصاصة حمراء ..

و تطرق جدران بيتي أصوات القارعة ..

و يبتسم لي الموت الحقيقي ، و يأخذني للبعيد .. !!

تعريف أول

هي أحجية أبدية ..

تعثرت بِلسان مشعوذ عجوز ..و بطل سحره ،

و بقيت خرافة .. يغنيها :

الفقراء ، والبسطاء ، الأطفال ، و النساء ..،

خرافة ..

ترددها الطيور المهاجرة ..

و النمل الأحمر ، و الأسود ..،

خرافة ..

معلقة في أعالي الجبال ،

و بأعماق الأنهار..،

كل من حاول الوصول إليها ، حمل جمجمته بيديه ..

وانتحر قبل أن يصل .. ، !!

أن نكتب

يعني أن نهجر معسكر القتلة .-
سوف أكتب ..
رغم كل شيء ، سوف أكتب على أي حال . -
إنه .. كفاحي من أجل المحافظة على الذات.
- أنا في حاجة للعزلة ..
وكل ما نجحت في تحقيقه ، ليس إلا نتاجاً للوحدة
إني أخاف الارتباط ..
وأخاف فقدان ذاتي في كائن آخر، لأني : لن أصبح
وحيداً بعد ذلك.

فرانز كافكا

إلى .. النائبين في الغياب ..

صباح الثورة يا أنت ..

موجع جدًا : أن أكتب لك في حالة غضب ، وأبدأ سلسلة رسائلي برسالة إليك ..

لكن .. سأطبق ثرثرتك اللامجدية لمرة واحدة .. عندما أخبرتني ذات احتواء :

أن أوجاعنا الشاسعة تتقلص عندما نعلنها للملأ ..

ونبعثر أوراقها للآخرين ، لأنها ستكون ملكاً للجميع، ولهم الحق بمشاطرتهم لنا البكاء ، وتساؤلاتهم .. وتأويلاتهم التي لا تنتهي ..

ولأنك وجعي الأكبر ..

ها أنا أبدأ بك ..

لأنني ببساطة لا أكترث لنشاز العابرين ، وفي حياد مع جميع البشر ..

لا أكترث بمجتمع ملوث ، يتعامل مع الحرف كسيرة ذاتية..

أعلم أنه لا يليق بي .. لكنني مجبرة على مسايرته لعمر بسيط..

مجبرة على محاصرته لحروفي وقتلها ..

لا عليك ..

لا تكترث لثرثرتي ..

فهذا الصباح موبوء بالصداع ، يصلب رأسي إلى نصفين..

والقهوة التي كنت أعشقها ، تشعرني بالتقيؤ .. حنجرة القيصر لم تعد تثملني .. والرياض باردة بشدة مثل ثلاجة الموتى .. والضجر ينمو بقدر يفوق طولي .. يتجاوز الـ ١٦٦ سنتيمتر ، ويرعبني .. وأنا افتش عن طريقة توصلني إلى أقرب رصيف يؤدي لمنزلك ، ليحتوي وجع رسائلي الأخيرة .

مادمت قد اغتلت ساعي البريد ..

وشنقت عصافير الحب ..

وأوصدت جميع الأبواب بوجهي . .

مادمت قد رتبت لهروبك فجأة ، كما يهرب الجنود اليافعين من أول عثرة في ساحة الحرب ، ويخونون وثيقة الدفاع عن أوطانهم ، بحجة الخوف من القادم المجهول ..

يمضي الوقت ببطء كسول ..

كرحلة قروي ، يمشي حافي الأقدام من الشمال إلى الجنوب..

تعبر الساعة كـألف عام .. وأكثر ، دون أن أجد رسالة صفراء ، تخبرني بها :

هل انتهينا فعلاً ..؟!

وبماذا تسمى حكايتنا ..؟

هل انتهت كما تنتهي المسلسلات الخليجية بتقليدية معتادة.. وباكية ..؟

وهل أكتب النقطة الأخيرة لروايتي معك ، وأذيلها بانتهى..

وأوقع عليها برصاصة من فم مسدس كاتم .. ؟
لتخترق جثتي بهدوء ..
ويتقاطر دمي على أورا قها ، وتنتشر كما هي برائحة دمي المخمور بحروف اسمك ،
ليعلم جميع من أرهقهم صوت الحب الشرس :
أن النهايات لكل الأشياء الجميلة .. هو الموت، والخلاص..
المبكر .. الموجع .. المختصر كصلاة ميت ..
وأغادر للبرزخ .. الذي طالما أرهقني التفكير به ، بحقيبة تحمل كتبك ، وقصائدك ، وذكرياتنا الصغيرة .. وحكاية الجنون الذي لم يكتمل ..
أغادر قبل أن تقبض يديك على يدي ..
قبل أن يجمعنا سقف قارب واحد ، لنرتوي من نهر واحد، ونحلق لسماء الحرية ..
حيث .. لا مجانين سواي وسواك ..
يأتيني حديث صديقتي كحقنة مهدئة ، وهي تقول :
العثرات في الحب ، لا تنتهي بالرحيل والتنازل ..

ستشعرون بجوع الحنين مع الوقت .. والعودة هي الوجبة الوحيدة لهذا الجوع .. ، ما رأيك : هل صحيح حديثها..؟

أم كانت فقط تضمد جرحي ، وتعزيني كجميع الأصدقاء ، متعبة جدًا يا أنت .. ولا أعلم : لماذا أكتب لك ، وأقحمك في أجوائي السوداء ..؟ خطيئتي ..

أن ما حدث كان خارجاً عن قيد يدي ..

وكأن القدر يغبطني على وجودك ..

يغبطني على الفرحة التي غابت عن أرضي منذ زمن .

وكأن القدر يرتب ماحدث ، ويغتال حكايتي معك بطريقة مبهمة .. على هيئة موت ..

أنا أحببتك جدًا ..

فوق جميع الاحتمالات والظنون ، والشكوك السيئة ..

أحببتك .. ولم أفكر أبدًا أن أرحل قبل أن نُشفى ، وتستأصل

حبي لك من عروق قلبي ، وتعلمني طريقة سهلة للقسوة والنسيان ، وتشذيب الذاكرة ..
تمامًا كما يأتي المطر ، ويسقي الحقول الجافة ..

هطلت أنت ..
وكما يُضيء النور ويبدد العتمة ، وتصبح كل الأشياء الجميلة ..
فجأة أشرقت أنت .. ورحلت فجأة .. كقبضة عزرائيل المتكررة لأرواح البشر ..
أنا أيها المجنون لم أتحدث لك عن شكل قارة الوجع التي تقيم بعيني ..
لم أهمس لك عن مدى شبهي من سيزيف ..
لم أكشف لك عن كفي ، لترى كم مشرط ، وسكين قد انغرست به ..
أنا لم أرهقك بتفاصيل حياتي الكئيبة ..

لم أخبرك عن طفولتي .. المتدلية من جدائل النار ، ولاعن حنيني للحي القديم ..

لم أزعجك بالحديث عن كل عثرة واجهتني ..

لم أخبرك عن الثقب الذي أحدثته بحبل أمي السري ، لأسترق النظر لدنس الحياة ..

لم أحك لك عن الطريقة التي ولدت فيها .. والطبيبة التي ارتكبت خطيئة ولادتي ،

وانتحرت باليوم التالي ..

لم أخبرك عن صديقة أمي ، التي سمتني عليها ، وماتت في تميمية ميلادي الأول ..

لم أسهب لك عن خشخشة أصدقائي الموتى ، واتهامي بالمرض والجنون من أصابع من كنت أعتقدهم الأقرب إليّ ..

أنا لم أذقك نشوة الدم الذي يتسلل من عروقي ، ويطفو على سطح جلدي كل يوم ..

لم أبك على ذراعك ، أو أرسم على صدرك أمنيات ، تشبه جميع فقاعات أحلام الفتيات

المعتادة : ثوب أبيض ، وقطعة أثاث جديدة ، ومنزل كبير، وأطفال بعيون أرجوسية ..

وزوج مثالي لايخون .

أنا لم أخبرك عن سذاجتي ، وذكائي الغبي ، ولم تعرفني جيدًا بعد ..

أنا معك فقط .. كنت أنسى اسمي ، واسمك .. المرتبطين بقدسية رباعية واحد ة ..

معك فقط .. كنت أتمرد على قيودنا .. عاداتنا الواحدة .. أمزق سحنة هويتنا ، وأنياب مدينتنا الراهبة .. كنت أهرّبك بهيئة رسائل سرية ..

وأتعاطاك كقطعة مورفين .. تفقدني الوعي ، وأتخبط بدهاليزها .. وأنسى الأرض والفضاء ، ومن يسكنهما ، لأعود جنية خرافية ..

ترقص معك فوق سحابة حمراء ، وتحمل النجوم بحقيبتها، والشمس بكفها ..

وتتعلم من جديد أبجدية ، لم يكتبها إنس و لاجان ..

لتكون أنت :

معجمها .. شهادتها .. وثقافتها .. حضارتها.. ومهجرها..

لتكون أنت هي ، وهي أنت ..

معك فقط ..

كنت أبكيك كأم طفل شهيد ،

وأتألم بك كـفتاة مصابة بالمرض الأسود ،

وأهذي بك .. كعجوز طاعنة بالسن ، غشاها الكبر ، أثير شفقة الأصدقاء والغرباء من حولي ، كملامح طفلة منغولية متعبة ، وأشعر أن خنجراً كبيراً تنغرس بحنجرتي، كلما سألتني شقيقتي :

لماذا تبكين ..؟

وما نوع هذا الشحوب ، والمرض الذي يغشاك .. ؟
وأقول لها :
لاعليكِ .. فقط : قلبي يحتضر .. رتبي معي لحضور الصلاة على جثتي ، مساء هذ اليوم..
الساعة الرابعة .. بدموع باردة ، وصوت أغنيتك المفضلة ، يخترق جدران الغرفة ، والقلب ، وكل الأشياء.

إلى ميم ..

هذا الصباح ..
يعبرني ببطء ، كفكرة انتحار تعبرُ مخيلة بائس ..
غشاه الخوف ما بين الزوال ، و التلاشي للمجهول ..
و بين حياته المعاقة ، و ألم الاحتضار ..

الساعة الآن .. يا ميم :
تقترب من الرابعة فجرًا ..
تظهر لسانها لي ، و كأنها تسخر من محاولاتي الفاشلة بالغرق في النوم ..
وأصابعي بشوق للثرثرة ، بشراسة فقدتها مع نشوة المذاكرة..
يحق لك أن ترتبك من رسالتي هذه .. فأنا لن أكتب لك رسالة اعتذار ، كما كنت أفعل أيام الطفولة ..

فطفلتك ياميم أصبحت كبيرة ، بما يكفي لأن تلملم أخطاءها في أقرب حاوية ، و تحرقها .. لتنثر رماد عثراتها السابقه على وجهها ، حتى لا تكررها ..

لن أردد لك ذات النشاز المكرر.

و أقول :

أنا بصحة جيدة .. أنام جيداً ، وأضيء جميع عيون الإضاءة، عندما أغتال أوراق كتاب .. و لاشيء ينقصني أبداً ..

طبعاً .. أنا أكذب فيما يخص حالي دائماً .. بقصد : « ألا أزعجك » بحالي ، الذي لا أعرف تصنيفه جيداً ..

فالكلمات يا ميم هي أقنعتنا للآخرين ، بإمكاننا أن نقيم حرباً بالكلمات ..

أن نصنع دولة عشق صغيرة بها ..

الكلمات : هي ألسنتنا .. تحدثت كثيرًا بما عجزنا نحنُ عن النطق به ..

فكن على يقين أن كلمة : «بخير» هي مجرد قناع ، نخفي

خلفه التشوهات التي أحدثها العالم على ملامحنا ..
و بما أن الليل شاعر مغرور ، عاد و سرق من جفني النعاس.. سأخبرك ببعض حقيقة حالي :

فالصبر بداخلي .. عجوز .. مريض ، فقد الأمل بالشفاء ، و انتحر من طابقٍ سابع ، لفرطّ الانتظار..
طفلتك الكبيرة ياميم تسهر كثيراً .. تدخن الضجر .. لا تكترث لصحتها ، وقلبها ممتلئ بالثقوب .. تقيم في العتمة، كخفاش يتيم ، و لازالت تربي السلاحف الصغيرة ، برغم تحذيرك لها ، وينقصها كل شيء ، واللاشيء..!!
صغيرتك .. تشتاق لملامحك الحنونة ، تبكيك كدمية لا تتحدث ، لكنها على يقين تام بأنها تشعر أكثر من البشر .. وربما منـ.....
هل ستتألم من حقيقة ذلك .. ؟
هل سترمي جميع أوراقك ، و أعمالك التي لا تنتهي في

وجه الريح و تأتي ..؟
وماذا لو أتيت ..؟
هل ستغير رسالتي بداخلك الكثير ، و نتحدث عني .. ؟
فكثيراً مانجتمع على طاولة واحدة ..
ونتحدث عن كل شيء يحدث في أرضنا الملوثة ، بداية من الثورات العربية ، و الأحوال السياسية القذرة ، و قضية قيادة المرأة للسيارة ، المثيرة للضجة من قبل ولادتي حتى الآن .. إلى حال طقس مدينتنا المتقلب ، كمزاجيتي ..
و نتجاهل الحديث عن ذواتنا .. عن قادمي .. عن مشاريعي.. عن أحلامي وأمنياتي ، التي كلما تحقق شيء منها ، رفع الآخر يديه ، وقال : أنا هنا..!

تقول إحدى الصديقات الافتراضيات :
إن تجاهل أحاديثنا عن ذواتنا أمام من ننتمي إليهم ، هو هروب متعمد ..

ربما تكون على يقين ..
فعلاً ستستغرب أنني على صداقة مع أحد ، فوحدك يعرف أنني في حياد مع البشر ..
فاشلة في التواصل مع أحد ..
وحدك .. يعرف أنني لا أنتمي لشيء سواك .. سوى اسمك ، الذي يعبر اسمي ..
اسمك وحده .. من ركلني في طفولتي ، بين كفوف معلمتي الملعونة ، عندما كانت تناديني بالقبيلة ، متجاهلة رباعيتك ، وكنت أتجاهل نداءَها ، إلا في حال نطقها ب :
سهام محمد .. فقط ..
هي .. لا تعلم أن ماتفعله من ضرب مُبرح يزيد من عنادي، الذي اقتبسته منك ضعفين ،
وأن عقابها الشديد لي بالوقوف في الشمس القاسية ، يزيد من بذرة الصبر ..
و أن المسطرة الخشبية التي كانت تطرق كفوف يدي ،

علمتني أن مدارسنا ، وعالمنا ممتلئ بالحيوانات البشرية ، البعيدة عن الإنسانية ..

هي .. لا تعلم أن اسمك هو أكثر الأسماء أثراً في ذاكرتي.. اسمك الذي يعبرني ، قبل أن أرتكب أي ذنب ، أو حسنة..

اسمك يتبع اسمي .. في شهادة ولادتي .. بطاقة أحوالي .. جواز سفري .. شهادات التخرج ، و الشكر و التقدير ، وفي كتابي الذي أصبحت لا أطيق سماع شيء عنه ..

و في لحظة غضب على ذاتي .. أحرقت ماتبقى منه بطريقة بوذيهة .. بقي منه نسخة واحدة .. كتبت بجوفها إهداءً لك ..

وكم تمنيت أن يتسلل لمكتبتي فأر صغير ، يقضمه ، و أنا أتظاهر بالنوم ، و بالحزن ، و في باطني سعيدة ..

كل ما أريد أن تعرفه يا ميم :

أنني أحاول أن أجمع شتاتي في حقيبتك الأخيرة ، وأخبئني في نسمة هواء عابرة ، وأغادر إليك ، فمدينتنا يا ميم : تشعرني بالتقيؤ ..

مدينتنا :

تغتال كل مساحة خضراء .. تزرع في قلوبنا التناقضات ، و القسوة ، و الجفاف ..

تعلمنا :

أن البسطاء ، لاحياة صالحة لهم ، فوحدهم من يقام عليهم الحد ، وما سواهم : ملائكة منزهون عن النار..

شرعتُ نوافذ غرفتي الآن ياميم و أنا أعاتب مدينتنا .. بعد أن بصقتُ عليها ، وهي تتجاهل حديثي ، و تبكي ، و تقول :

« يا سهام : الخلل ليس بجوفي ، الخلل فيمن يتنفس بداخلي.. و لو كان الأمر بيدي ، لهربت إلى سكة قطار

بعيدة ، و انتحرت .

فتناقضاتكم .. لا يحتملها حجر..! »

اللعنة يا ميم كيف أخلصها من خلل بحجم هذه الأرض أجمع ... ؟ كيف ..؟

إلى أناي ..!

نوال :

لا أعلم .. كيف أبدأ رسالتي إليكِ ..؟

ولا أعلم .. بأي الصفات أناديك ..؟

هل أناديك : صديقتي .. أم لا ..؟

فهذه الكلمة ، أصبحت مستهلكة برتابة .. أصبحنا نقولها للغرباء الذين نغلف علاقاتنا بهم لأشياء مبهمة .. ولا أعلم حقًا :

هل أنتِ لازلتِ صديقتي الوحيدة .. أم لا ..؟

حسنًا .. لايهم .. لن أسألكِ عن حالك ، فهذا السؤال بالنسبة لي ، يشكل معادلة صعبة ، مستحيلة الحل .. وأعلم أنكِ ستعتبرين سؤالي هذا حماقة ، لأنني أنا من أغلقت أبواب الوصل ، وتقوقعتُ برحم عزلتي ، كعجوز تنتظر الموت ..

وما يحرضني للكتابة إليكِ ، سوى رجمكِ لنوافذ ذاكرتي هذه الأيام باستمرار ..

يؤرقني وجهك بالمنام ، للحد الذي أهرب منه إليه ، ولا أعرف طريقاً إليكِ سوى الحائط الذي ننتظر به حافلة الجامعة ، والطريق المؤدي إلى مدرستنا القديمة ، ودفتر مذكراتنا المشترك ، وبريدك الغير متصل بالحياة منذ عام ونصف ..

كلما حاولت تجاهلك ، تستحضرك كل الأشياء ، لتثبت أنني لم أنسك .. فأنتِ معي أينما كنتُ .. أذكر عيد ميلادك في الخامس من مارس ..

أذكر قهوتك المفضلة ، وصوت (وردة) الذي تعشقين ..

أذكر جيدًا حركة يدك التلقائية ، عندما تسهبين في الحديث..

أعرف تفاصيلك الصغيرة ، أكثر من أن يعرفها من يشاركك رغيف الخبز ..

الآن ..

أتعلمين : أمي سألتني قبل فترة قريبة عنك .. أمي أصبحت متفقة مع ذاكرتي ، في تمريرك إلي أمي ، التي كانت لا ترتاح لصداقتنا كثيرًا ، لأنكِ أكبر مني بأربعة أعوام ، وبقولها الذي

حفظته عن ظهر قلب : « ما يصير .. تصادقين ناساً أكبر منك .. »

لذلك تمرّدت على نصيحتها ، التي كانت في الأساس مبنية على الأمر ليس النصح .. وأصبحتُ لا أتحدث إلا مع من هنّ أكبر مني .. و كنتِ أنتِ كل الأصدقاء ، لدرجة أني أرى ذاتي بكِ .. يرهقني ذلك كثيرًا للحد الذي أصبحتُ لا أتخيلني من دونك ..

لأنكِ كنتِ .. أنا .. وأنا .. أنتِ .

لذلك ..

قررت أن أهرب .. أبتعد .. حتى تعود ذاتي التي اختلطت بكِ إليَّ ..

فكنتِ : الشمس التي تضيء عتمتي .. وأنا على يقين تام الآن بأن الشمس غائبة ، والليل طويل ، والشتاء الذي أكرهه يطرق أبواب مدينتنا ، التي هجرتيها ..

الأشياء من حولي تتغير .. تشيخ .. وتكبر .. وتتقدم .. وأنا .. أنا الزهرة الشاحبة العالقة في أرض جدباء .. فلا صديقات من بعدك أبكي على أكتافهن ، ولا أعداء أخوض الحروب

معهم ، لأشعر فقط .. أنني على قيد الحياة ..

أنا أصبحت يا نوال أمثل دور الطبيبة ، المنصتة لضجيج مرضاها ، المتماسكة ، الغير قابلة للانهيار ..

فهل أخبروكِ يوماً ما بطبيبة :
ترتدي معطفاً أسود ، وتقيم بعيادة سوداء ..؟

طبيبة :
يخرج المرضى من نوافذ عيادتها ، بلا ذاكرة ..؟
فأنا أصبحت أجيد الانصات لضجيج العابرين .. أتحدث إليهم ، وكأني صاحبة الألف عام ، أخبرهم عن عثرات الحياة ، وعن أول الطرق للتغيير .. أسكب بين أصابعهم أبسط الحلول ، لكني « فاشلة » في الحديث عن ذاتي ..
« فاشلة » في تكوين صداقات جديدة ..
« فاشلة » في أن أكون .. أنا من بعدك ..
أنا « فاشلة » في ترميم هذا الثقب الكبير الفارغ ، الذي

أحدثته أيامي بدونك ..
أنا تمامًا مثل طفل خطفه أحدهم من حضن أمه ، فتربى في حضن غريب ، ووطن غريب رغمًا عنه ، ويشعر بالضياع.. بالفقد .. بالحرمان .. بالانتقام .. بالخيبات والثأر ، وبكل الأشياء السيئة ..

لا أعلم :
هل أنتِ تبتسمين ، وأنتِ تقرئيني .. ؟ أم تبكين ..؟!!
ماذا ستقولين عني أنا ..؟
أما أنا .. سأكذب لو قلت لكِ :
أنني ابتسم ، أو أبكي .. صدقًا ، لا أذكر آخر مرة بكيت فيها، ربما منذ عام أو أكثر ، لأنني أصبحت لا أكترث يا نوال أو بالأصح متبلدة ، لاشيء يستحق البكاء عليه ، ولاشيء يستحق أن أبتسم لأجله .. فكل الأشياء عادية، ومتساوية كأسنان المشط .. لا أكترث أبدًا .. وهذا مايحدث..
لكن أجيد التأمل ، ونبش الأشياء ، وبعثرتها ، وصلبها ، وإعادة ترتيبها ..

وأكره الارتباط بشيء مؤبد ..

أعشق العزلة يا نوال للحد الذي تغار هي أن يشاركني قلبي .. حياتي كائن ما ..

وفي ذات الوقت : هي ترهقني ، والشفاء منها معجزة ، يانوال ..

أعرف أنك ستقولين :

أني أصبحت أثرثر كثيرًا .. ههه .. لايهم ، كل ما أريد قوله: أن الشمس واحدة ، وهي : أنتِ .. ومنذ رحيلك ، وهذه السماء معتمة ، وأنا في ليل أبدي ..

لحظة يا نوال ..

أحدهم في الخارج ، يطرق أبواب عزلتي .. يحاول استفزازي، سأقتله .. وربما أعود ..

إن نسيتيني ، حاولي أن تستعيد ذاكرتك الحياة ..

أو لا تحاولي .. لم أعد أكترث .. !!

ما الذي يفعله الموتى .. في هذه اللحظة .. ؟

ميم ..

أكتب إليك في هذا المساء الموحش ، في هذه اللحظة المبللة بالعزاء ..

أكتب إليك على صوت :

الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، وبكاء النساء ، وضجيج العجائز وهن يرددن :

الله يرحمه .. مات في زهرة شبابه ..

أكتب إليك ، و أمك غارقة في غيبوبة البكاء ، و شقيقتك تُرتب غرفتك ..

تُعد لك الشاي الذي تحب ..

وتغني لك : « بعدك على بالي ..» لم تستوعب أنك بعد عدة ساعات ، سينشر اسمك في صفحة

الوفيات ، و تسجل لك شهادة وفاة ، و تصبح ميتاً بشكل

رسمي ..
يالله .. من يُصدق كل هذا .. ؟ أخبرني ياميم ..

أعلم : أنك تشعر بي ، وتقرأني ، برغم أنه قد مر على خبر وفاتك كما يقولون تسع ساعات
تماماً ، و برغم أنك بارد ، كقطب شمالي في ثلاجة الموتى، بالركن المهمل بمستشفى اليمامة ، بعد أن أرهقوا قلبك الصغير بالتشريح ..

و أعلم : أنك غاضب جدًا ، لأنهم لايفهمون لغتك ، ويتجاهلون صراخك ، و أنت تقول : صديق عمري ، طعن قلبي ..
صديق عمري ، سرق مني حياتي .. لم لا تصدقون ..؟

أخبرني :
ما إحساسك ، عندما بادرت اليد الأقرب لك بمقتلك..؟

قلتُ لك ذات مساء أنه لا أحد يمكننا أن نثق به ، وأن من نسميهم : أصدقاء ، يحملون جانباً عدوانياً ، أكثر من أعدائنا أنفسهم .. وبإمكانهم أن يسلبوا منك قلبك، ويدمروك بوحشية ، بحجة : « أنهم يمونون عليك ..» لكنك كنت تبتسم ، و تكتفي بالصمت ، و كأنك تخبرني أن
الأيام ستثبت ذلك ، لأكون على يقين بأن هذا العالم وحشي، يعشق الدم والدمار ، وصوت الخلاص ..

تعال .. ياميم ، و اصرخ في وجه هذا العالم الملعون ، ليكف عن ساديته ..
ويجعلنا نعيش بسلام ..
اثبت لهذا العالم أن المعجزات تحدث ..
انهض من سباتك القصير ، يا ميم ..
تعال .. واخبر كل من حضروا عزاءك أنك لم تمت ..
واحرق تابوتك المنتظر..

اخبرهم : أنك تمثل دوراً قصيراً في مسرحية ، تعكف على كتابتها الآن ..

اخبرهم : أن صديقك « الغبي » لم يقتلك لأنك عارضته في بعض الآراء السخيفة ..

تعال .. سنلعب الغميمة مع رفاق الطفولة ، ونذهب للعم أبو صالح ، ليحكي لنا حكاية جديدة ، قبل الغروب .. سنركض في شوارع « إشبيلية » حفاة الأقدام ، و نشتري المثلجات ، و نسخر من العابرين ، كما كنا نفعل ..

تعال ..

ثمة أحلام كبيرة ، و مشاريع كثيرة ، رسمتها أصابعك ، تنتظر إتمامك لها ..

تعال ..

اخبرني : ما الذي يفعله الموتى في هذه اللحظة .. ؟

أقصد : ما الذي تفعله أنت الآن .. ؟

عاصفة غيابك ..

لم يكن المسير على أرض جنتك شيئاً طبيعيًا أبدًا ، أو أي صفة تنتمي لجميع المصطلحات ، التي لاتُحدث كوارث أرضية أبدًا ..

تمامًا ، كما لم تعبُر عاصفة غيابك على أرضي ، بكل هدوء وسلام ..

دون أن تقتلع أشجار الحنين ، وتقصف العالم بداخلي ، دون أن تُحدث هذا

التشوه العظيم ، والخراب الموجع الأنيق .. وتجعلني ما بين الوعي واللاوعي ..

ما بين الصحوة والاحتضار ..

تمامًا كما تعبُر نبراتك الصاخبة على مسامع ذاكرتي ، كالموج الجارف ، وأنت تقول :

ذكاؤك ، هو كل ما أخشاه ..

وأنا أقول :

كلك ، هو كل ما أعشقه ...

تمامًا كما تفقدني ابتسامتك المربكة توازني ، وتقتلني المسافة، التي تفصل أصابعنا عن بعضها ..

اختلافك معي ..

عندما أخبرك عن دهشة صوت أم كلثوم ، وحواسي وهي تذوب لأغنياتها النابضة بالعشق ، منذ أن وقعتُ أسيرةً لعينيك ..

واتفاقك معي ..

في هوسي لمحمود درويش ، وأحاسيسنا لحظة رحيله ..

وكعادتك : تخبرني أنك خصصت صفحة كاملة بإحدى الصحف لعزاء الأرض والشعر،

لفقدانها شمسها الوحيدة ..

صوتك ، وأنت تقلد محموداً في طريقة إلقائه قصيدة :

ملوك النهاية ..

مدك لحرف الألف ، وذات الحرف المجنون الذي يتوسط اسمك ..

أحاديثنا عن ضجيج الوطن ، وحقوق الإنسان الذي انقرض فعلًا ..

أفكار هروبنا المؤجلة من الأرض ..

تخطيطنا لرواية مشتركة ..

عقولنا المتقاربة ..

أرواحنا العالقة ببعضها ..

حناجرنا الذائبة بحنجرة واحدة ، عندما تغني الأرض معك :

« إنتي وأنا .. ياريت عنا كوخ .. مخبى بفي الحور والكينا .. ومايكون عنا كهربا .. ولاجوخ ، ونعيش مايعرف حدى فينا .. »

وأنا أقول بعد أن نغلق دائرة الجنون بتنهيدة واحدة :

سأقتل الأرض ، ومن يسكنها ، ولو وصل الأمر لإعدامي، مقابل ثانية نقضيها على جناح واقع لاحلم .. واقع مسافر للبعيد ، في العاجل القريب .. في العاجل القريب ..!

الساعة السابعة والفقد ..

بثوب ملون بدم شهيد .. وطلاء أظافر أسود كلون الموت..

وعينان شاحبتان .. وعلى المنضدة فنجان قهوة ، لا أفكر بارتشافه ..

وجريدة ، لا أفكر بتصفحها ..

ولا أعلم : ما هو اليوم ، ولا التاريخ .. فالأيام بعيدًا عنك متشابهة ، كنباتات الصبَّار ..

وأرقام التواريخ جميعها فردية ، كحالي في عاصفة غيابك.

رحلة .. مع الأنا .

الساعة الثامنة صباحاً..

يتشربني الملل بعمق .. لم أشعر إلا بأصابعي ، وهي تعتمد أيقونة رد جديد ، دون أن أفكر

: ماذا سأكتب ..؟

أو ماذا أقول ..؟

دون أن أضع فكرة سابقة لما سأسكبه هنا ..

كالنظر تمامًا في صفحة بيضاء ، متجاهلة خطيئة الحبر، متجاهلة صوت المنبه ، وأنا أقول له بصوت عال :

اليوم نهايتك ، سأحطمك ، وأحطم الروتين معك ..

لن أرتبك من صوتك بعد الآن ، وأنت تعلن تأخيري عن العمل ..

سيكون هذا اليوم لي .. أنا وحدي .. هل تسمع..؟

هذا اليوم .. لن أفيق على صوت أمي بعبارتها المعتادة :

« بسك نوم »

رغم أني أتمنى أن أغفو غفوة أبدية ، أجد فيها ضوء الأحلام..

فقط .. أجد فيها الوطن المفقود ، الذي تجري به أنهار الحرية ..

الوجوه التي لاتكمم ، ولاتغتال ..

وطناً خالياً من رائحة الحرب ، وأصوات القنابل ، والدنس..

وطناً أركض بشوراعه ببراءة الأطفال ،

دون أن تمتد إليَّ أياديهم لرؤية ورقة أثبت فيها :

من أنا..

وطناً يقدر إنسانيتك ، ويؤمن بالقلب الذي ينبض بداخلك..

وطناً لا تُشنق فيه الأمنيات ، ولاتُعدم العصافير..

هذا اليوم ..

سأكون برحلة أزلية مع الأنا ..

هذا اليوم ..

لن أشرح لشقيقتي مادة الرياضيات ، رغم أني لا أعلم :

ما دور المعلمين في مدارسنا ..؟ سأتجاهل إلحاحها الشديد

برسم شجرة ، وقوس قزح ،

رغم أن مدينتنا خالية من الأشجار الطبيعية ، بإستثناء الصناعية ..

وسماؤنا تكره قوس قزح ، وأنا لم أعد أجيد الرسم ، ولاأعشقه ..

هذا اليوم ..

لن أنصت لثرثرة زميلتي ، وهي تتحدث عن زوجها القاسي الخائن ..

و إجابتي التي أكررها لها يوميًا ، منذ قرابة العام ..

وأنا أقول

: ارحلي عنه ، أو اقتليه ..

ولهجتها الحجازية التي أحبها ، وهي تقول : «كدا

أموت..»

سأقول لها هذه المرة :

نعم .. موتي ، فربما موتك أفضل من حياة الجحيم معه ..

أفضل من أن تأتين ، والكدمات على وجهك ، وخدوشه تدنس دهشتك ..

أفضل من صمتك على جريمة كائن دميم ، ينتهك إنسانيتك ، ولايقدرك ..

هذا اليوم ..

سأتجاهل أحاديث الصديقات ،

وطلبات القريبات ،

ورنين هاتفي ، وهو ينبض كقلبي ،

ويختفي صوت النبض بالتدريج في إغلاق آخر نافذة تتسلل منها رائحة الفضوليين ..

هذا اليوم ..

سأتأبط صورة المجنون : « فراس سليمان »..

وأحمل كتب : «محمود درويش » و «عرابي رياض »
و « الصالح الحسين »
وأضع أوراقي الأخيرة في حقيبتي المختنقة ..
وأغلق كل الطرق المؤدية إليَّ ..
وأنقر على العم « قوقل » وأكتب « : أبحث عن مهجر.. »
وأصاب بنوبة ضحك طويلة ..
وأسقط عندما أكتشف أني المخلوق الوحيد ، الذي يبحث
عن مهجر ، وينبذ الوطن ..

- حدسي يقول : لن أعيش طويلاً ...
رأسي هذا يشبه البوتقة ،
يُطهّر ويُحرق ...
ولكن .. بلا شكوى ، وبلا ظل رعب...

- حدسي يقول : لن أعيش طويلاً...
ولكي أنتهي .. أودّ لو تولد
في مساء بلا غيوم ،
تحت شمس صافية ...
أفعى بيضاء .. من ياسمينة كبيرة
وبرقّة ، برقّة .. تلدغ قلبي ..

ألفونسينا ستورني

عودة ...

الآن ..
أريد أن أعود طفلة ، تركض في أزقة الحي القديم ..
لا تخاف من غضب الشاحنات ، و صراخ المارين ..
الآن ..
أستطيع أن أسترق الحلوى من دكان «مازن» .
دون أن أشعر بتأنيب ضميري .. لأرمي بين يديه نقوداً جمعتها ..
لأشتري دمية تشبهني .. لكنها لا تشعر .. وأصغر مني بكثير ..

الآن ..
أستطيع أن أدوس على نملة ، ولا أبكي ..
لأنني تسببت في ركلها بعيدًا عن أنياب الحياة المتوحشة ..
الآن ..
أستطيع أن أتجاهل شعوري بالحزن و الاختناق ..

عندما أرى طفلاً يبيع مياه معدنية أمام شارع الملك عبدالله.
و يتسول أحياناً من العابرين ..
الآن ..
أستطيع أن أقتل غول الحنين ، حينما أقرأ قصيدة «درويشية»
أو أشاهد لقطة حزينة من فيلم قديم ، تذكرني بعاشق ..
أيضًا قديم ..
الآن .. بإمكاني أن أكون
حجرة صلدة لرصيف قرية مهجورة ..
أو قطعة معدنية بكف ثري بدين ..
الآن فقط .. أريد
أن أنزع قلبي .. مشاعري .. إنسانيتي
أن أكون أي شيء .. أحمق .. تافه
بزوبعة هذا العالم المعاق

عدا أن أكون إنساناً ..!!

عصفورة .. بجناح مكسور .

أصبحتُ .. في الرابعة و العشرين ، ياجدتي ..
طفلة كبيرة
و عاشقة بقلب مثقوب .
أصبحت .. في الرابعة و العشرين
ولازلتُ أتكحل بالإثمد الذي تحبين ..
أبحث عن بريق أسنانك الذهبية في ضحكات الأمهات..
وأرتدي ثوبكِ الأسود ، وأنثر في الآرجاء رماد عطرك القديم .

أصبحت .. في الرابعة و العشرين
عصفورة بجناح مكسور..
تركض فوق أرصفة المتاهة
و تخطف الحزن من عيون العابرين ..

أصبحت .. في الرابعة و العشرين
ولم أعد أفكر في نهاية هذا العالم .. و بوجه الله ..
وما نتيجة عناق الشمس للقمر ..!
فقط ..
أنتظر أن تمتد إليّ يداكِ من البرزخ الآن ..
حتى يصبح عيدهم هذا عيدين .. !!

تذكرة مغادرة ..

أنا لم أعد طفلة ..
ترضيها مجموعة من المثلجات الحمراء ..
أو رحلة .. برفقة الدلافين الصغيرة ، ورائحة السارديـن
المقيتة ..
ولستُ مراهقةً مشاغبة ..
تحلم بالتسكع في شوارع المدينة الممطرة
وينبض قلبها فرحًا ، عندما يُوقع لها كاتبها المجنون .

لم أعد فتاة يانعة ..
تغريها أساور الأناناس الأنيقة ..
وخواتم الياقوت المضيئة .. كعين الشمس ..
أنا لستُ امرأة ناضجة ..
تحلم بقطعة أثاث جديدة
ومنزل كبير .. وأطفال بعيون أرجوسية

وزوج مثالي لايخون ..
ولاعجوزاً طاعنة في السن .. نادمة على مامضى ..
وتتمنى أن تموت قبل أن يُفتت المرض جسدها المسكين ..
أنا ..
وصلت إلى أبعد من تلك الرتابة بأكثر من كثير ..
وصلت إلى مرحلة لم تصنف إلى الآن ..
وحالة .. عجز الغرباء والأصدقاء عن استيعابها
وهذه الأشياء .. الثمينة النادرة
التي نثرتها بكفي .. لاترسم البسمة على سمائي ..
اشتر لي .. في عيد ميلادي القادم
تذكرة مغادرة أبدية
وقنبلة .. تنسف دنس أرضي
وقبراً .. يكفي شخصين ...!!

الواحدة .. و القصف .

في لهيب الواحدة والنصف
أشارك قطط الحي المشردة حفلة المواء ..
و قلبي .. يخفق كـمكينة كهربائية .
يفتش عن وجهك الغائب في دخان الزحام ..
أشتم صورك ..
رنين هاتفك الملعون ..
أتوسد قصيدتك الأخيرة .. وأحاول أن أنام ..

أكمم جنون الواحدة والنصف ..
أرتدي غبش الواحدة والقصف ..
وأحاول أن أحشو رأسي برائحتك
وأنـــام ...، !

الساعة ...
الثالثة و الخمسون ..!

الساعة الثالثة و الخمسون ..

وأنا ..

لم أخرج من غرفتي ..

متكورة في آخر الخزانة .

مصابة بفوبيا الأصوات ..

حتى من صوت خطواتي على الأرضية ..

الساعة الثالثة و الخمسون ..

و صديقة قديمة لا أذكر ملامحها جيدًا تحدثني عن ذكرياتنا الماضية ..

عن معلمة مادة التوحيد ، عندما كانت تضربني

لأني سألتها ببراءة طفلة : « من الله ».. ؟

كانت صديقتي تضحك ..
اختنقت
و أغلقتُ سماعة الهاتف .. قبل أن أقول لها وداعًا ..

الساعة الثالثة و الخمسون ..
و رسائل البريد الالكتروني تشعرني بالتقيؤ ..
جميعها .. مغلفة بالمجاملات و المصالح .. بالورود الرمزية..

الساعة الثالثة و الخمسون ..
و صفحات : « الفيس بوك » و « التويتر » .. تلوث عينيّ..
الرجال .. يطبلون للنساء ، بطريقة خرافية ..
و النساء .. يصدقن كلمات عشق ركيكة .. من قلوب افتراضية .. بلاستيكية ..

الساعة الثالثة و الخمسون ..
و شاشة تلفازي .. كسرتُها بقوارير البيرة في لحظة غضب ما ..
تضيء و تنطفئ ..
أفقدتني متابعة الأحداث الأخيرة من مسرحية : «الربيع العربي» ..

الساعة الثالثة و الخمسون ..
و عناوين الصحف .. تبشر بازدياد عدد القتلى والشهداء..
تؤكد لي :
أن هذا العالم ، قد انقرضت منه الإنسانية ..

الساعة الثالثة و الخمسون ..
و جلود الوجوه القريبة مني تساقطت ..

ظهرت حقيقتها .

يااااه .. كم كانت دميمة ، و مشوهة بما يكفي ..

الساعة الثالثة و الخمسون ..

و هذا العالم .. صغير جدًا في عينيّ ..

أصغر من عين عصفور .. كسرت جناحه رصاصة بندقية..

و أقبح من مسخ في أفلام الرعب الهوليودية ..!

قلب مستعمل ..

للبيع ..

قلب مستعمل .. لمدة ثلاثة وعشرين عاماً ..

يخفق .. كضجيج زلزال .

يبكي من صفعة الباب للغرفة ..

يُحرضك للكتابة على جدران الكنائس .. و أرصفة

المقاهي القديمة ..

يتحدث بجميع اللغات ، منها : لغة الضجر .. الهذيان ..

وغيرها الكثير.

يشبه سيزيف كثيرًا

ويتعاطى الجنون في رسائل المساجين السرية ..

يعاني من نوبة وجع حادة ، قد تؤدي لإغماءة أبدية ..

أو غيبوبة بسيطة .. الله أعلم ..!!

فمن منكم ياقوم .. يخلصني منه .. ؟!

.....

مامن أحد .. !!

حسنًا .. سأتبرع به لجميعة الرفق بالحيوان ..

أو .. مافيا الأعضاء البشرية ..!!

معجزة خلق البشرّ للبشرّ..

قال لي :

حُبّكِ .. فلسفة .. منهج يُدرّس .

و قصيدة درويشيّة ..

حُبّكِ .. ديكارتي .. تفاحة نيوتن ..

و محمود العقّاد .

حُبّكِ : حياة .. بداية تكوين

و نهاية خليقة ..

حُبّكِ : حكمة أرسطو

و الموناليزا ..

حُبّكِ : فم النّار.

قلت له :

حُبّكَ .. ريشة بيكاسو .. سيمفونية بيتهوفن ..

حُبّك ..أنشودة مبهمة.. و أحجية أبدية ..
حُبّك .. تطرف .. تصوف .. و ديمقراطية ..
حُبّك .. جسر الجنة .. ماء كافور
و عصا موسى ..
حُبّك عالم الذر.. عالم البرزخ
و ما بعد الحياة الأبدية ..
حُبّك .. تمثال زيوس .. حدائق با بل
و معلقات جاهلية ..
حُبّك .. صعب جدًا .. صعب جدًا
كمعجزة : خلق البشرّ للبشرّ.. !!

ضجيج رتيب ..

لاشيء أمامي الآن ، سوى الضجيج الرتيب ..
ذاتها الأشياء التي تتكرر كل يوم ، كمسلسل خليجي كئيب :
على أرضية الغرفة .. أوراق تقويم ممزقة بعشوائية ..
جرائد مرّ على إصدارها أكثر من عام ..
عشر علب فارغة لمياه معدنية ..
فناجين قهوة باردة .. لصديقة ، وعدتني أن تقرأ فنجاني ، و لم تأ ت ..
غبار مكتبتي المتخمة بكتب أغلب أصحابها .. قد ماتوا.
صفحة الأبراج :
«برج العقرب»...
عروض مجحفة لعمل جديد .
هاتفي .. الذي يشبه نبضات قلبي .. الخارج عن حدود التغطية ..

رسائل مجهولة من عشاق افتراضيين .
هدية قديمة .. من رجل يحتضر .. لم أشاهد مابجوفها حتى الآن ..
صراخ جارتنا الغاضبة .. دائماً و أبداً..
أصوات .. تعلو لوجوه غير مرئية..
أهداب جفني سرقها الليل ..
و العالم يرمقني من ثقب باب غرفتي ..
يحاول أن يُرعبني بطريقة فنتازية
و أنا أحشوا مسامعي بخيوط كفن قديم ..
و أحكم .. إغلاق الباب .
و أبتلع المفتاح ..
و أحاول أن أتصالح مع .. نفسي .. روتيني ..
و أنام .. !!

صرخة الإعجاب ..

عندما يسقط الحديث عنك
كمطرٍ غاضب ..
تأكلُ لساني هرة سوداء ..
و تبترُ أصابعي فأس فلاح زنجي متعصب .
و أبقى عاجزة عن كتابة نقطة واحدة ..
أو حتى فاصلة مبهمة إليك ..
أخبرك فيها عن :
صرخة الإعجاب
أو الحب ..
أو الشيء الذي لم أعرفه بعد .. !!

ياجدتي ..

لا تستغربي لو قلت لكِ :
أنني لم أعد أراكِ في ثلث الليل ..
عندما يأتي (الله) للأرض .. يلبي دعوات المساكين ..
كنتِ تسترقين تلك اللحظات
و ترمقينني بعينيكِ اللتين تشبهان أنهارالجنة ..
تبتسمين بأسنانك الذهبية .. و تهمسين لي :
«يا صغيرتي .. متى ستأتين ..؟
لا تبكي .. عندما لايقرأ عزارئيل رسائلي إليكِ ..
عندما تجدين بعضها احترق
و البعض الآّخر قد أكلته الشياطين .. !!

محاولة فاشلة ..

سأخبرك .. بأسخف محاولاتي الفاشلة لإقصائك مني ..
لكن ..
لا تضحك بسخريتك المعتادة ..
تخيل .. كنت أهرب من كل الأفكار المؤدية إليك ،
و أحاول أن أفكر بأي شيء .. سطحي ، و تافه ..
أتأمل ديكور سقف الغرفة .. أو بطاقة دعوة ،
لحضور حفلة فنان سخيف ، و معجب أسخف ..
ليعود عقلي من جديد .. إليك ، وأتخيل ملامحك ..
كنت أحرص على اقتناء الجرائد كل يوم ،
ليس للاطلاع على أحاديثهم المزيفة .. لكن لألعب لعبة الكلمات المتقاطعة بطريقتي ..
أكتب حرفك الأول .. متقاطعاً مع حرفي الأخير،
و كأنني أكونُك من جديد ..

كنت في أوقات فراغي .. لا أجلس وحدي ، كما نصحني الطبيب .

و أحاول أن أشرح لشقيقتي : مادة النحو ،

و أضيف اسمك في جملة حزينة و أبكي ..

كنت أعتزل قراءة محمود درويش ، و عبدالله ثابت

و كافكا ، و كل الكتب الملهمة ،

و أستبدلها بكتب سياسية قديمة ..

و برغم ذلك .. أكتب لك على كل غلاف منها

قصيدة هايكو قصيرة ، تشبه اللحظات معك ..

كنت لا أنصت لحنجرة أم كلثوم ، أو فيروز ، أو كاظم الساهر،

باستثناء أغاني سراج عمر الوطنية ،

لأشعر بانتمائي لأي بقعة وطن في الأرض سواك ، و أفشل..

كنت أدخن نسيانك في آخر الليل ، و تتشكل خيوط الدخان بهيئة رجل يشبهك ،

و أحاول أن أحطم بقارورة البيرة برواز صورتك ،

المعلق في آخر مكتبتي ..

و أتذكر أن صورتك مطبوعة في عينيّ

كلما نظرت للمرآة ..رأيتك .

كلما تحسست أصابعي ، و شامة خدي الأيمن .. رأيتك..

كلما شعرت أنني لازلت على قيد الحياة .. رأيتك ..

لا شيء يخرجني من الركض في دائرة حبك

سوى موتي ، و موتك .. !!

يومان ..

منذ يومين ..
و أنا لم أشاهد الأخبار ..
و لم أقرأ الجرائد ..
و لم أسأل أمي : كيف هو الحال ..

منذ يومين ..
و أنا أتجاهل رنين هاتفي ..
و رسائل الأصدقاء .. و تنبيهات بريدي ، الغير متصل بالحياة ..

منذ يومين ..
و أنا لم أغير طريقة جلستي
ولم أنظر لساعة معصمي ،

لأن جفني في حياد مع النوم ..

منذ يومين ..
وأنا لم أسمع ضجيج السيارات ،
و همسات العصافير ،
ولا أدري : هل جارتنا صرخت غضباً ، كعادتها كل يوم..؟

منذ يومين ..
وأنا لم أستبدل ورقة التقويم لتاريخ اليوم ..
و لم أزود سلاحفي بوجبة الغداء ،
و لا قطتي بِطبق الحليب ..

منذ يومين ..
لم أتخطى عتبة غرفتي ..

ولا أعرف : ماهو الوقت ..؟

و لا اليوم ، ولا التاريخ .. ولا مالذي يحدث بزوبعة العالم..؟

كنت طيلة هذين اليومين ..

أتأمل صورتك الأخيرة ..

و أحاول أن أستوعب حجم هذا الكوكب المجنون ..

المتشكل بعينيك .. !!

شعور .. يأكلني .

كنتُ أشعر: أنني أحببتك ،
عندما أصبحتُ أهتم بك .. أكثر من اهتمامي بتسريحة شعري ..
وبلون طلاء أظافري ..
وأي فستان يليق بي ..
عندما أصبحت أهتم بك ..
أكثر من اهتمامي بتدوين فكرة نص عابر،
أو بعنوان قصيدة أعجبتني ، أو قراءة كتاب مجنون لشاعري المفضل ..

كنت أشعر: أنني أحببتك ،
عندما أقف على الميزان ..
و أكتشف أني فقدت الكثير من وزني ،
لأن التفكير بك .. يأكلني .. و آكله في آن ..

عندما أدخن كثيرًا ..
و أسهر كثيرًا ..
ولا أكترث لأحاديث الأصدقاء ..
ولا حتى سماع أخبارهم .. باقتصار الأخبار التي تخصك،
أو الأحاديث المؤدية إليك ..

كنتُ أشعر: أنني أحببتك ..
عندما أقرأ الفراغات و النقاط ..
وعلامات التعجب و الاستفهام
بين حروفك ألف مرة .. و أفشل في كتابة جملة واحدة ،
تختصر ما بداخلي إليك ..

عندما أهتم بمتابعة طقس مدينتك ..

و أحسب المسافة : مابين قارتي ، و قارتك ..
و أبكي كثيرًا..
كنت أشعر: أنك أصبحت جزءاً مني .. يتلبسني .
عندما أعدت ترتيب حياتي ..
و تمزيق جميع أوراقي الماضية و القادمة ..
و وضعتك في قائمة أشيائي الأولية ،
و أصبحت حينها أغاني أم كلثوم ، تنبعث من غرفتني كل صباح
و أنا أغني معها :
« أنت عمري .. اللي ابتدي بنورك صباحه ..»
لتجتمع عصافير الأرض أمام شرفتي ،
و نغني معاً أغنية طويلة ، لمقاطعة هذا العالم .. والتوحد .. التطرف بك.. !!

سجين .. وسجّان .

حكايتنا تمامًا

كسجينٍ .. يبتسم في وجه سجّانه مجاملة ،

حتى يُحضر له .. الأوراق

و الأقلام .. و السجائر المهربة ،

ليملأ فراغه الموحش ..

و يرميه ضمن قائمة المنسيين .. بعد أن يغادر..

لكن ..

قبل أن أسهب في الحديث .. أخبرني :

من كان فينا السجين ، و من كان السّجان ..؟

تركيبة مجنونة ..

لا تطرق نوافذ عزلتي .. و ترجمني بأحجار الحنين .
لا تحملني ذنب ماحدث ..
فالذنب هو ذنبك وحدك .. لاشأن لي به .
لأنك البهتان ، عندما كتبت لك :
أنني فعلاً من ضمن قائمة الموتى الرمزيين
و إعادتي للحياة ، تحتاج لفانوس سحري .. و معجزة .
لم تشعر بِبرودي .. بِتبلدي ..
باللامبالاة تسري بأطرافي ..
و أنت تكرر عباراتك المبللة بالبكاء :
« أحبك .. ماتفهمين..؟
ذليت نفسي عشانك كثير.. أنتي حجر .. ماتحسين »..؟

لم تحاول أن تقتلع أشجار الخريف الذابلة من ملامحي ..

لم تسق عينيّ الجافتين
و تعيد لأصابعي المصابة بغرغرينا الفقد كامل طبيعتها ..
و لأن غبش الحب غشى عينيك ..
لم تقرأني جيدًا .. لم تدرك : من أي تركيبة مجنونة أنا ..
لم تنصت لي ، عندما أخبرتك : أن قلبي معادلة كيميائية ..
مات الساحر الذي اكتشفها
و عجز عن حلها جميع البشر..
و من الصعوبة أن يُبعثّ للحياة مرة أخرى ..
حتى يخبرك بالحل ،
أو أن تكتشفها أصابعك .. !!

دمية ..

قلبي .. دمية صغيرة ، لطفلة شهيدة ،
بقيت تحت الأنقاض لعمرٍ طويل ..
لا هي التي تمرغت بدم صاحبتها ، وغادرت معها ،
و لا تخلصت من الخراب الدميم ..
و موتها البطيء .. و نجت .. !!

سخافة صغيرة ..

أستيقظ من غمرة منامي .. أبحث عنك .
افتش في خزانة ملابسي عن قميصك الأزرق ،
الذي كنت ترتديه
في أول مرة قلت لي فيها : أحبكِ ..

أتحسس بأصابع قدمي بقايا الزجاج المكسور لمزهرية ،
رمتها أيادي الغيرة على الأرض
عندما قلتُ لك :
إنني أعشق قصائد فراس سليمان ..
كلما شعرت بفقدك .. أعيد قراءة رسائلك النصية ،
و روايتك الأخيرة .. وصندوق محادثاتنا الشاحب بالفقد..
أتحسس باقة الغاردينيا ، التي أهديتها لي في تشرين الماضي،
و كتبت على إحدى أوراقها :
« أتمنى أن تُرضي الغاردينيا نرجسيتك ، وتمنحيني قلبك ،

كما منحتكِ حياتي .. »
كنت أحيانا أركض .. لأجرح يدي بشفرة موس حلاقتك..
لأتأكد من بقايا أشيائك ، و غيابك أنت فقط ..
و كثيرًا ماكنت أسير في أرصفة الحي ، وحدي كالمهبولة ..
و أبحث في عيون المواطنين ، و العمال الوافدين ،
و في عيون الأصدقاء ، و الغرباء .. عن إجابة لاستفهاماتي:
أحقًا ..
كنا عاشقين ذات احتواء..؟
أحقًا ..
أنت حقيقة ..
أم خرافة اختلقتها أنا .. كما يقولون .. ؟
عقلي ياعين كبير جدًا .. أكبر من كوكب
لم يستوعب إلى الآن سخافة صغيرة .. تُدعى «الفراق»

الحاضر في الغياب ..

إهداء ..

إلى روح السماوي البعيد .. الحاضر في الغياب: محمود درويش ..

انهض يا محمود .. فمدينةُ الموتى
أكملت عامها الثالث ..
أصبحت ناضجة بما يكفي للحصاد الأخير..
انهض .. وعلمهم : كيف يتعامل الإنسان
مع الإنسان بإنسانية ..

علّم مرتزقة الشعر.. و كتّاب البهرجة ،
و جميع المطبلين لأحذية السُلطة :
كيف تُكتب نصف جدارية حقيقية ..

علمهم :
كيف يُعطي حاكم عربي لشعبه حقه ،
و حريته .. بلا تسول ، ولاعنف ، ولا وحشية ..
انهض يا محمود
و قل للموت : قف بعيدًا .. لا تقترب
فعلى هذه الأرض من يستحق الحياة ..
الدمار أصبح معجوناً في رغيف خبزنا ..
مقيماً في كؤوس مائنا .. و قهوتنا الصباحية .
يتكاثر في سمائنا ، كالمرض الأسود ،
ينمو بأشجار الكرمل ، و أغصان الزيتون ..
يصلب جماجمنا الملوثة في الثانية أكثر من مرتين ..

انهض يا محمود من غفوتك الصغيرة ،
و أخبرنا :
أنك قد مت قبل الآن ..

وأنك تَعرفُ هذه الرؤيا ،
و تمضي إلى ما لست تعرف ..
وأنك مازلت حيًا في مكان ما ..
انهض ، و أخبرهم : أن المسير
خلف جنازة الشخص الغريب أرهقتك ،
و أنك منذ ثلاثة أعوام
تحاول اكتشاف : كيف ينام الموتى .. و يستيقظون
على صوت قنبلة ، و حرارة رصاصة ..
و كيف يتكلم الموتى ، و تكمم أفواههم
و كيف يتنفسون ، و يُغتال هواؤهم
و كيف يناضلون ، و تفشل ثورا تهم
و كيف يحلمون ، و تدفن أحلامهم
و يعودون يحلمون ، و يحلمون
لا فرق بينهم وبين الأحياء
هم أبناء عم الموتى ..

كما ذكرت

هادئون و صاخبون ..

انهض يا محمود .. طال انتظارنا

فهذه الأرض ، تكحلت برماد الشهداء لأجلك ..

ترتدي بلون الدم فستاناً ، يليق بِحضرتك ..

هذه الأرض تقف على قدمين

منذ ثلاثة أعوام ، لم تسترح من التعب ..

تنتظرك ..!!

شرقية خانقة ..

سألتك ذات احتواء :

ماذا يعني أن تكون رَجُلاً شرقياً ..؟

وقلت لي :

أنتِ .. ابنة رَجُل شرقي ..

حبيبة .. رجل شرقي ،

صديقُكِ .. رجل شرقي ،

و مُعجبوكِ .. رجالٌ شرقيّون .

و إلى الآن .. لا تعي معنى أن أكون رَجُلاً شرقياً .. ؟

الآن فقط ..

أدركت معنى : أن تُطوقَ عنقي هذه الشرقية الخانقة

حد تلاشي الهواء ..

استوعبت معنى أن تكون رجلاً رضع الديكتاتورية

منذ التكوين الأول ..

متطرف بالحب

ذائب في الغياب

أناني بالحضور

مُستعبد لمجتمعه ..

يخشى الذين أعلى منه ... أكثر من الله..!!

يرضى بنصف قلب .

و نصف رئة ..

و نصف قلم ..

و نصف وطن ..

سمع و كتبَ عنه كثيرًا .. ولم يره ..!!

ذاكرة .. تستحضرك .

هذا اليوم ..
منذ إشراقته الأولى ، وهو يمررك لذاكرتي
في الصباح .. كان صوت « ماجد المهندس » يأتي من المذياع ،
و هو يغني آخر أغنية سمعتها معك :
« فرصة أخيرة » ...

لوحة أحد المحلات التجارية .. توقف نظري أمامها طويلاً ..
لأنها تحمل اسمك ..
بيت بسيط .. بأشجار كثيرة في حي «القدس»
يشبه بيت حلمنا به ..
إحدى الزميلات .. ترسل لي قصيدة أعجبتها ..
و كانت لك ..

أمي تناديني ، لأشاهد برنامجاً ..
أنت تحبه ..

عطرك « fehrenhait » تنتشر رائحته بغرفتي
بعد أن عبثت شقيقتي به ..
رسائلك الورقية المدونة بعام : ٢٠٠٨
وجدتها صدفة .. مخبأة بدفتر مذكراتي الدراسي ..
محادثة قديمة .. تعثرت بها ،
و أنا أمسح صندوق المحادثات ..
كانت غريبة .. منذ بدايتها ، إلى نهايتها
و أنت تسألني .. فأجيب على سؤالك بسؤال ..!
تمامًا .. كهذا السؤال :
إذا كنت قادرة على تمزيقك من ذاكرتي .. تجاهلك ..
فكيف أمزق هذه الطبيعة
و أتجاهل كل الأشياء التي تستحضرك لذاكرتي .. ؟

شارع كورسو..

تذكُر..

آخر شارع كورسو .. والباعة المتجولين هناك

بكتب : « نيكولو مكيافيللي ، و أنطونيو تابوكي »

عندما استوقفتك رواية : «اسم الوردة» لامبرتو إيكو

و كتبت لي على غلافها :

« أديبتي الصغيرة .. هذه الوردة الخرافية ، التي تنمو وتتكاثر بدهشة

و جنون داخل قلبي .. هل تسمى وردة ..؟»

تذكُر..

صمتنا الطويل ، و رجفة يدي اليمنى ،

ورعشة شفتيك ، وهي تهرب من الأحاديث عني وعنك..

و تتحدث لي عن « ليوناردو دا فينشي .. »
و حكاية مدرج « الكولوسيوم » القديمة ..؟
وأنت لا تعلم :
كم قارورة نبيذ تسكبها أحاديثك على مسامعي .. ؟!!

تذكُر..
عندما أخبرتك أن هناك ريشة على كتف معطفك
و حاولت أصابعي إزالتها ،
وفي الواقع .. لم يكن هناك شيء أبدًا ..
كنت فقط .. أحاول أن أتحسس أي جزء منك ،
حتى أستوعب أنكَ حقيقة .. وأن مايحدث .. واقع يبعثرني..
يصعُب على الحواس تجاهله .. ؟

تذكُر ..

عندما كنت ألبس نظارتي الشمسية
و أمثل أني أقرأ الجريدة ،
و أنت تضحك ..
كل مافعلته ، لأجل أن أًسهب في النظر لنهر عينيك ..
دون أن تنتبه .. ؟

تذكُر ..
محل الموسيقى ..
في الجهة المقابله لبائعة زهور : الأوركيد و الفلامنجو،
عندما كنا نقف أمامه ، و العالم من حولنا مشغول ..
يحتفل بعيد الفصح ..
و أنا و أنت نحتفل بنبضة الحب الأولى
على عزف « بوتشيني و جوزيبي فيردي »..؟
كنا ..
نَنحت بخطواتنا على الأرصفة .. قصائد طويلة ،

جمعنا بطياتها شتات مشردين العالم ..
و اختصرنا بها تاريخ تكوين الفضاء و الأرض ..!

تذكُر..
كلمة : «أحبك » .. ؟
كيف كانت تصيبني بالدوار،
و تخفيني عن عيون الإنس والجّان ..؟ !!
كيف كانت تعيدني للحياة ،
بعد أن كنت ضمن قائمة الموتى الرمزيين ..؟
تذكر ..
كل هذه التفاصيل الصغيرة ..؟
طبعًا لا تذكر..!!

نرجسية ..

لا أحد قادر على بعثرة حياتي ،
و خطف نبض هذا القلب مني أبداً ..
لا أحد .. لا أحد .
لا أحد .. أحبه .. و أخافه .. و أشتاقه .. و أكرهه
إلا ذلك الوجه .. الذي أرهقني سأمه
ومزاجيته الملعونة ..
و أسراره الملغومة..
و استفاهاماته .. التي لا تنتهي ..

إنه الوجه ..
الذي عبرت قدماي لأجله
ألف قارة .. تفتش فيها عن رائحته ،
وهو يركض بسرعة رصاصة .. هرباً مني .

الوجه ..

الموبوء بالوحشة ، و غبار الموت ،

و كل الأشياء التي لم تكتب بعد ..

ذلك الوجه :

وجهي .. وجهي أنا ..!!

لا يشبهك ..

صوتك .. يصرخ بوجهي
محاولتي الفاشلة لبتر وجهي عن الجسد
بكائي .. وأنا أجلدك بسادية على الورق ..
أشكيك لحائط البيت
للسور الطويل ..
لأشجار الحي .. التي حفظت بذاكرتها ملامحك ..
صوتي .. وأنا أصرخ :
لا أحبك ..لا أشتاقك .
و قلبي لأجلك .. ينبض و ينتحب .
يدايّ .. وهي تشرع أبواب مدينتها
لرجل : عيبه .. أنه لا يشبهك ..
وأنا أحاول أن أمرّر بكأس الماء
غّصة أمي .. وهي تقول : لا ترتبطي برجل تحبينه ..!!

ارتبطي برجل .. تستطيعين العيش معه ..
ما يقتلني .. يا أنت :
أني لم أجد من أعيش معه ..
ولم أجد مجنوناً ..
يستحق أن أقتل
الأرض لأجله .. و أغرق .. و أحب.. !!

دودة الفشل ..

عبق تشرين الأول
كوخنا الصغير.. المختبئ بين أشجار الساكورا ،
كعكة الشوكلا ..
شمعة ميلادي .. الخامس و العشرين ،
قصة شعري الجديدة ..
فصاحتك التي تعيدني للعصر الجاهلي ،
جاذبيتك المجنونة ،
رابطة عنقك الزرقاء ،
عيناك .. وهي تأكل ملامحي ..
رائحة عطري «Carolina Herrera» تفوح من معطفك..
رقصة الفلامينجو ..
ضحكاتنا بثمالة ..

غيرتك من المعجبين ..

غضبي من حماقات صديقاتك..

اختلافنا ..

بين متابعة القنوات الرياضية و الإخبارية..

من منا يتحكم بالريموت ..؟

اتفاقنا ..

في مشاهدة فيلم «The Notebook» للمرة العشرين ..

مواء قطتي ..

صوت سلاحفي .. وهي تبحث عن طريقة للهروب ..

قلقك .. نومك القصير،

لا مبالاتي .. نومي الطويل ،

زيارتك لطبيب الأسنان ،

متابعتي مواعيد الحمل ..

احتفالنا ..

بأول طفل .. يستنسخني و يستنسخك ..

حيرتنا في اختيار اسم مناسب

أحاديثنا عن المستقبل .. عن حقوق الانسان .. الأنظمة الاستبدادية ..

عن تاريخ تكوين الأرض .. و مستقبل المثقف العربي ..

رحلتنا .. لساحة أسبانيا

ونحن نُعبر عن غضبنا ، ونشتم العالم ، من أعلى بقعة هناك..

مقالاتك الساخرة ،

قصائدي القصيرة ،

نضوج الثلاثين ..

هدوء الأربعين ..

والتبنؤ بما بعد الخمسين ..

نظارتك الطبية ،

وعدساتي اللاصقة ..
التفكير في كتابة سيرتي الذاتية ،
و تفكيرك في نشر روايتك الأخيرة ،
سؤالك عن النهايات ..
و حديثي عن الأبدية .. و أشياء تفوق الاستيعاب ..
كل هذه الومضة ..
تتكون بمخيلتي فقط .. عندما تسألني :
متى أكون أقرب من نبض قلبك إليكِ ..؟
حياتي ..
التي أتمناها معك يا آدم قلبي ..
ليست فيلماً هوليودياً
يُعرض في صالات السينما ، و ينسى بعد عدة أعوام ..
هي ..
أقرب ماتكون للوحة ، لم يرسمها «إدوارد هوبر » ولا
«بيكاسو»

لرواية طويلة ..

لم يكتبها «ماركيز» و لا «كازانتزاكيس »

هي ذلك الشيء ..

الذي كلما حاولت رسم بدايته .. أو كتابة أول حرف منه..

أكلت أصابعي دودة الفشل ..

وتقوقعت في مقعدي الخشبي .. أعيد قراءة كتاب :

« كيف تمسك بزمام القوة»

و أُحيك سترة لِقطتي ..

وأحسب الباقي من عمري

وأنا أغني ، مع أم كلثوم :

عمري ضايع .. يحسبوه إزاي عليّا ..؟

من أنا ..؟!

أنا التي تموء كقطة جائعة ..
عندما ينبثق الضوء من نافذتك ،
متسللاً لأرصفة الحي الباردة ..
وتدعو الله كثيرًا .. عند كل إشراقة صباح :
يارب ..
حولني إلى لوحة عتيقة .. عالقة بحائطه ..
أو شجرة .. قريبة من سور منزله ..
هل تذكرني ..؟

قيامة الفقد..

لوحة « بيكاسو » العالقة بحائطك ،
كوب قهوتك ..
أوراقك المبعثرة .. لمشاريع لم تتحقق إلى الآن ..
قميصك الأزرق ..
كتب « العقاد » المصفوفة بشكل عشوائي ..
رائحة عطرك ..
فرشاة أسنانك ..
تفاصيلك الصغيرة ، تشاطرني فقدك الآن ..
راحل أنت يا شقيقي ..
و أنا أمثل دور الأميرة النائمة ..
تعرفني جيدًا .. أكره لحظات الوداع ..
أكره المطارات ،
و أصوات القطارات ..
أكره الحقائب الكبيرة ،

و أنفاس العناق الأخير..
أكره الحناجر المغادرة ،
و الأيادي التي تلوح .. وداعًا من بعيد ..
أكره مقاعد الانتظار،
و نبضات الساعة .. و قلبي الذي يزأر معها ..
أكره كتب الجغرافيا ،
والمُدن .. والقارات الملعونة .. التي تفصلني عنك .
أكره ..
كلماتك المعتادة ..
برجفة من خوف وبكاء :
« ابشتاقلك .. انتبهيلك .. حطيك جوا عيونك »
جميعها دلالات بقيامة الفقد ،
و بأني أبكيك بعنف..
الآن ..الآن.. !!

قصاص ..

في غيابك ..
غرقت ألف بلد
ماتوا الشعراء .. وسقطوا الطغاة ..
احترقت أوراق الصمت
و قامت أكثر من ثورة ..

في غيابك ..
غادروني الأصدقاء
و تكاثروا الأعداء ..
وأنا .. أتمرغ برماد غرفة
لا نوافذ لها .. ولا أبواب .
أمزق تقويم خريف عمري الرابع و العشرين ..
و أنتظرك .. كسجين مظلوم ،
ينتظر قصاصاً مجحفاً
من عدالة مفقودة ..!!

فراغات ..

الفراغات الشاسعة .. يا صديق :
توهمنا بأشياء ، لم نكن نتخيلها يومًا ما ..
تتحدث لنا عن تفاصيل عجزنا كثيرًا ..
في رسمها .. كتابتها .
ترمينا في كفّ .. رُبما .. و ماذا لو ..؟
تصلبنا بقسوة الشك ،
و نعومة اليقين ..

الفراغات .. يا صديق :
روح قابلة لألف تأويل و احتمال ،
قابلة للقسمة على صفر..
للاغتيال .. للثورة .. للحرب ..
و حتى الصلح ..
الفراغات ..
أصعب من الكتابة .. أحيانًا
لذلك .. أنا سأتحدث بلغة :.....»

رجلٌ .. تقليدي .

أرجوك ..

تحدث كما يفعل جميع البشر..

اكتب بالطريقة ذاتها .. التي يكتب بها جميع الشعراء ..

ابتسم دون أن تتعمد فيّ إرباك قلبي .. و سقوط الشمس

و القمر..

اخلع بعضًا من جنونك المخمور..

كُن رجلاً عاديًا جدًا

حتى يعود عقلي الراحل من جمجمتي إليّ ..

كُن رجلاً تقليديًا جدًا

لدقائق معدودة .. فقط ..!!

زوبعة غيابك ..

تسألني :
ماذا يحدث في زوبعة غيابك ..؟
لا شيء يحدث ..
صدقني .. لا شيء ..

كل مايحدث :
أن هذا الليل طويل ،
والشتاء .. بارد ، ومعطفي .. ضائع ، كأنت ..!
والوحدة .. تأكلني بعنف ،
وأنا المريضة .. أهذي بك ،
وافتقد شهيتي للحياة ..

كل مايحدث :

أن الحنين إليك .. قاتل ،

ينتشر بداخلي .. كالحمى الخبيثة ،

ويركلني بقسوة .. ضمن قائمة الموتى الرمزيين.. !!

نوبات صرع ..

لستُ مصابة بداء القطط .. ياطبيبي ،
و لا بالحمى الصفراء ..
و جدائلي .. لم تتساقط من المرض الأسود ..
و لا أعاني من نوبات صرع عظيمة ،
و لم يتوقف نبض قلبي من انسداد في الشريان ..
هذا الشحوب الذي يرتديني ،
هو طاعون غيابك ..
و صراخ الحنين .. إليك فقط، .. !!

لستُ من الأرض ..

أشعر ..
أني احتسيت إبريق الحياة
على هذه الأرض ،
قبل عشرين ألف عام .. أو ربما أكثر..
وأشعر أن هذه الوجوه العابرة
تنفست معي ..
واقتسمت رغيف الخبز ،
ودورق الماء .. برفقتي ..
على سفح جبل .. لم يكن على هذه الأرض أبدًا ..
أشعر ..
أن تاريخي نُقش على صخرة « سيزيفية » صلدة ..
وبطريقة «هوليودية » تصلب عقلي ..
يعرض الآن ببطءٍ كسول ..
تسعل ذاكرتي منه ..عندما يومض في صالات أرض

السينما..
أشعر:
أنني قد كنت يومًا ما .. بعيدة من هُنا ..
لم أكن على نهد الأرض .. ولا أسفل رحمها .. ولا في سقف سمائها ..
أشعر:
أنني قُتلت .. و دفنت ..
أفقتُ من غيبوبة موت مؤقت ..
وفي وهج ليلة ، يمشط جفنها مطر الجنون ،
سقطتّ عمدًا على ضفة لاحدود لها .. ولا جغرافية لها ..
أشعر:
أنني قد أتلاشى الآن ..
ولا أبالي بالعودة .. لا بعد عشرين ألف عام ..
ولا بعد أربعين ألف قيامة ، من ضجيج هذا المنتهى ..

جنته المحتلة ..

هذا الصباح ..
لم يحتس قهوته .. الخالية من السكر..
لم يأكل الجرائد بسخريته المعتادة ..
لم يحدثني عن « فرناندو بيسوا »
وأناشيد الثورة .. وعدد الحروب التي تمرغ بغبارها ..

هذه المرة ..
لم يتجاهل علامات استفهامي ..
بذات العبارات :
«لا تقلقي» .. «لا تخافي» .. «مامن شيء يحدث هناك»
وسألته .. للمرة فوق الألف :
ماذا يحدث خلف تلك الحدود ..؟

ما سر بكائك .. ولون الشحوب ..؟

صفع الأرض بنحيب قاتل .. وبشهقة أخيرة ،

وهو يقول :

أعداء الله .. هناك .. فوق جنته المحتلة ..

يلعبون كرة « البيسبول » .. بجمجمة أمي .. وشقيقتي الصغيرة .. !!

روايتي المفضلة ..

أنا .. لم أبكيك حد الموت ..

ولم أحبك بقدرٍ يرميني بين جدران مصحة نفسية ..

لم أتوسد صورك ، وقصائدك ،

لم يقضمني التفكير بك ..

لم يرقص قلبي غيرة ..عندما تكتبك إحداهن ..

أنا ..

لم أطرق أبوابك أستجدي لحظة دفء بين ذراعيك ..

ولا أكترث لحضورك ، وغيابك ..

أنا ..

لم أكتبك على عيون النازحين ،

وقمصان الثوار ..

لم أرسمك بتلك الدفاتر المبللة بالشجن ..

كل ماحدث :

أنك كنت روايتي المفضلة ..
التي تجردت مع مرور البرد من دهشتها ..
وسئمتُ من قراءتها ..
وركلتها إلى الرف السفلي من التجاهل ..
و لن أغضب ، لو انسكبت عليها القهوة ..
أو استخدمتها شقيقتي لعمل طائرة من الورق ..!!

توقف هنا .. يا صديقي القارئ

عندما تنتهي من قراءة هذه الأحجيات ،
احرقها ، وانثر رمادها على شجرة ما .
أو تناسها ، وتجاهل صراخها ..
ولا تعد للنبش بها مرة أخرى ..
فلاتستغرب ..
لو تدلت من سقف غرفتك أفعى سامة.. طيبة القلب ..
تحمل وزر الذاكرة ، و ابتسمت بوجهك ، و أمطرت السماء
نارًا ، و فقدت روحك ..
فقط .. قبل إغلاقك لهذا الكتاب ..
تحسس وجهك ..
وتأكد أنه لازال موجوداً في مكانه .. ولم يرحل ..
فكل شيء عندما تقرأني يحدث .. !!
ولا تحملني الذنب بعد ذلك ..
فأنا قد حذرتك ..

تمت..

سهام محمد/ الرياض

٢٠١٠-٢٠١١

الفهرس

الإهداء ٥

تعريف أول ٧

- إلى .. الذائبين في الغياب ٩
- إلى ميم ١٩
- إلى أناي ..! ٢٧
- ما الذي يفعله الموتى .. في هذه اللحظة .. ؟ ٣٣
- عاصفة غيابك ٣٧
- **رحلة .. مع الأنا** ٤١
- عودة ٤٧
- عصفورة .. بجناح مكسور ٤٩
- تذكرة مغادرة ٥١
- الواحدة .. و القصف ٥٣
- الساعة ... الثالثة و الخمسون ..! ٥٤
- قلب مستعمل ٥٨
- معجزة خلق البشرّ للبشرّ.. ..... ٦٠
- ضجيج رتيب ٦٢
- صرخة الإعجاب ٦٤
- ياجدتي ٦٥
- محاولة فاشلة ٦٦
- يومان ٦٩

- شعور .. يأكلني ٧٢
- سجين .. وسجّان ٧٥
- تركيبة مجنونة ٧٦
- دمية ٧٨
- سخافة صغيرة ٧٩
- الحاضر في الغياب ٨١
- شرقية خانقة ٨٥
- ذاكرة .. تستحضرك ٨٧
- شارع كورسو ٨٩
- نرجسية ٩٣
- لا يشبهك ٩٥
- دودة الفشل ٩٧
- من أنا ..؟ !..... ١٠٢
- قيامة الفقد ١٠٣
- قصاص ١٠٥
- فراغات ١٠٦
- رجلٌ .. تقليدي ١٠٧
- زوبعة غيابك ١٠٨
- نوبات صرع ١١٠
- لستُ من الأرض ١١١
- جنته المحتلة ١١٣
- روايتي المفضلة ١١٥
- توقف هنا .. يا صديقي القارئ..... ١١٧